

دولة ليبيا
وزارة التعليم
مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

اللغة العربية

للسّنة الثالثة
بمرحلة التّعليم الثّانوي (القسم العلمي)

الاسبوع الثاني

المدرسة الليبية بفرنسا ـ تور

العام الدراسي 1441 / 1442 هجري
2020 / 2021 ميلادي

3- في المدح لأبي تمّام بمناسبة (فتح عموريّة)

172- 231 هـ

صاحب النّصّ:

أبو تمّام هو حبيب بن أوس الطائي، وُلد في قرية جاسم بالقرب من دمشق، سنة (172هـ) ونُسِبَ إليه أنه قال: ولدت سنة (190هـ)، وكان لا يزال طفلاً عندما انتقل به والده إلى مصر حيث نشأ، وهناك أخذ يتردد على مجالس العلم والأدب مدفوعاً بنزوع جارف إلى استقاء المعرفة، وسرعان ما لمع اسمه في سماء الشّعر، الأمر الذي سهّل عليه الاتصال بالأمراء عن طريق المدح، فارتفع قدره وسمت منزلته، فاتّصل بالمأمون، ثم من بعده المعتصم الّذي دفع به الى ذروة المجد، وهو شاعر مطبوع لطيف الفطنة، دقيق المعاني، توفي على المرجح سنة (231هـ).

تعريف المدح:

المدح في اللغة: مدحه مدحًا: أثنى عليه بما له من الصفات، ومدَّحَهُ: أكثر مَدْحهُ، وامتدح المكان: اتَّسع، وتمادَحاَ: مَدَحَ كلّ منهما الآخر.

وفي الاصطلاح: هو غرض من أغراض الشعر العربي، نشأ من إشادتهم بأبطالهم وقبائلهم وسادتهم حين يحققون نصراً أو يأتون بعمل عظيم.

مناسبة النّصّ:

عندما أغار الروم على زِبَطْرة (مدينة في طرف بلد الرّوم) وهي تحت الحكم العربي، أعملوا فيها قتلا وتدميراً، فخرجت إحدى النساء تستغيث: وامعتصماه! وامعتصماه! ولما علم المعتصم بأمرها قال: «لبيك لبيك»، وأمر بإعداد الجيش وسأل عن أمنع مدن الروم فقيل له: «عموريّة» فعزم على السير إليها فجاءه المنجمون يعلمونه ما بلغوه من علم حول الغزو، فقالوا: لن تُفتح عموريّة إلا أيام التين والعنب، فلم يكترث وأوصى بولاية العهد للواثق إنْ قُتِلَ في المعركة، وسار حتى بلغ عموريّة ودكها دكًّا، وانتصر انتصاراً حاسماً على جيش الروم، وكان أبو تمام قد صحبه، ورأى من الجيش ما حفز قريحته إلى وصف هذه المعركة، والإشادة ببطولة المعتصم وكسر شوكة الروم في عمورية، وهذه القصيدة تُعّد من عيون الشعر العربي دون شك.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

النّصّ:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الحَدُّ بيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ[1]

بِيضُ الصَّفائحِ لَا سُودُ الصَّحائفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِ والرِّيَبِ[2]

والعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ لَامِعَةً ... بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ[3]

أَيْنَ الرِّوايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومِنْ كَذِبِ

تَخَرُّصًا وأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً ... لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ ولا غَرَبِ[4]

عَجَائبًا زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفِلَةً ... عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ

وخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... إِذا بَدَا الكَوْكَبُ الغَرْبِيُّ ذو الذَّنَبِ[5]

فَتْحُ الفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ ... نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ[6]

فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبوابُ السَّماءِ لَهُ ... وتَبْرُزُ الأرضُ فِي أثوابِهَا القُشُبِ[7]

يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ ... عَنكَ المُنَى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الحَلَبِ[8]

لقد تَرَكْتَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِها ... للنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ والخَشَبِ[9]

غَادَرْتَ فيها بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى ... يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ[10]

حَتَّى كأنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ ... عَنْ لَوْنِهَا وكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ[11]

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ والظَّلماءُ عاكفةٌ ... وظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ

فالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وقَدْ أَفَلَتْ ... والشَّمسُ واجِبةٌ مِنْ ذا ولَمْ تَجِبِ[12]

ما رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ ... غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًى مِنْ رَبْعِهَا الخَرِبِ[13]

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ ... للهِ مُرتَقِبٍ فِي اللهِ مُرتَغِبِ[14]

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا، ولَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ ... إِلاَّ تقدَّمَهُ جيشٌ مِنَ الرُّعُبِ[15]

لَوْلَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا، يَوْمَ الوَغَى، لَغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ، وَحْدَهَا، فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ[16]

لَبَّيْتَ صَوْتًا زِبَطْرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ ... كأسَ الكَرَى ورُضَابَ الخُرَّدِ العُرُبِ[17]

أَجَبْتَهُ مُعْلِنًا بالسَّيفِ مُنْصَلِتًا ... وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ[18]

بَصُرْتَ بالرَّاحةِ الكُبرى فلَمْ تَرَها ... تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

المعجم اللغوي:

1. الحدُّ: شفرة السيف - إنباء: مصدر من النَّبأ، كنَّى بالسيف عن الحرب، والحرب أصدق من كتب المنجمين الذين زعموا أنَّ عمورية لن تفتح إلّا أيام التِّين والعنب.
2. الصّفائح: جمع «صفيحة» وهي شفرة السيف - الصحائف: جمع صحيفة وهي الورق أو الكتاب - جلاء: انكشاف .
3. الرَّيب: الشّك - الشّهب: جمع «الشهاب» وهو الكواكب - الخميس: الجيش الجرّار - الشّهب السبعة: الكواكب السبعة، ويقصد بها ما يعنيه المنجمون .
4. التّخرُص: الكذب - النّبع: شجر صلب - الغرِب: نوع من الشجر.
5. الدّهياء: المصيبة الكبرى - الكوكب ذو الذنب: المذنب .
6. فتح الفتوح: أعظم الفتوح .
7. فَتَّحُ أبواب السماء: يُسَرُّ به الله لأنه نصر لدينه - القشب: جمع «قشيب» وهو الجديد.
8. المنى: ما يتمناه إنسان - الحفل: جمع حافل وهي الناقة التي امتلأ ضرعها.
9. ذليل الصخر والخشب: أيْ، تهاوت حجارتها واحترقت أخشابها.
10. بهيم الليل: شدة الظلام - يشله: يرفعه.
11. جلابيب: جمع «جلباب» وهو الثوب الفضفاض.
12. وجبت الشمس: غربت.
13. غيلان: هو ذو الرُّمة الشّاعر.
14. ارتغب في الشيء: رغب فيه .
15. يَنْهَدُ: ينهض.
16. الجحفل: الجيش العظيم - الوغى: الحرب - اللجب: الصخب الكثير الأصوات؛ لكثرة الرجال والخيل.
17. الزبطري: نسبة إلى زِبَطْرَة - الكرى: النوم - الرُّضاب: الريق - الخُرَّد: الحسان - العُرُب: جمع عَروب، وهي المرأة المتحببة لزوجها.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية - ليبيا

18. المنصلت: المسلول.

المعنى الإجمالي:

إن أبا تمام في قصيدته (فتح عمورية) يصور المعركة، ويسخر من المنجمين وما زعموا أنَّ المعتصم لا يفتح عمورية إلاَّ أيام التين والعنب، وقد استهلها بتفضيل القوة على العقل، والسيف على الكتب، ويشير إلى أن الحرب وحدها سبيل المجد والنصر الحقيقي، ثم ينتقل إلى وصف المعركة، وما حققته من مُنًى معسولة، ومن عز ومجد، فقد دمر جيش أمير المؤمنين المدينة وحولها الى ركام ورماد، فالنيران أحالت ليلها إلى نهار، فكأن الظلام ألقى عنه سواده وخلع ثيابه، أو كأن الشمس لم تغب ولم تغرب، فالشاعر أغراه مشهد الحريق الهائل، فعكف عليه يرسم ملامحه التي تملأ نفسه فرحًا، رغم ما فيها من رعب، ويزداد انفعال الشاعر بالمشهد فإذا هو لديه أحلى من آثار ديار ميّة على قلب غيلان.

ويستمر الشاعر في هذا الجو الملحمي فيمدح الخليفة المعتصم وجنوده وكيف انهزم جيش الروم، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وتبددت جحافله وانزاحت غياهب الظلام وحلت مكانها أضواء النصر في كل مكان.

ويوازن الشاعر بين وقعة عمورية وغزوة بدر، فإذا هما عنده متشابهتان، وإذا هو يسوي بين اليومين تعظيماً لمعركة عمورية وتعظيماً للخليفة المعتصم في تلك الفترة.

الخصائص الفنيّة (التّعليق):

لو استعرضنا ما في النّصّ من أساليب البيان والبديع لتجلت براعة الشاعر في صوغ الصور، فنسبة الصدق إلى السيف ونفيه عن الكتب يمنح السيف صفة الإنسان الحي، ويبرز الفارق الكبير بين فاعلية الحرب ودجل المنجمين، كذلك الجناس والطباق بين (حده والحد) وبين (الجد واللعب) مع ما فيهما من بساطة وواقعية يحسمان الموقف في الموازنة التي أثارها الشاعر ومثلهما استعارة (الجلاء) لمتون السيف

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

يساعدان على توكيد ذلك الحسم، كذلك استعارة (العلم) لشهب الأرماح يزيد من التوكيد على وضوح الموقف، واستعارة (تفتح أبواب السماء) واستعارة (تبرز الأرض في أثوابها القشب)، تجسدان معنى النّصّ على المستوى الديني والقومي، والفرح يشمل السماء والأرض في إحياء للأرض والسماء، فالسماء تشرع أبوابها ابتهاجاً بفعل ذاتي، والأرض أشبه بامرأة تتزين بأجمل حلّة لتستقبل خبراً سعيداً.

وكم في استعارة الذل لليوم: (ذليل الصخر والخشب)، من إيحاء بتشفي الشاعر واعتزازه بالنصر، وتجسيد حي عجيب للدماء والحريق، وما يصاحبه من معنى إذلال الخصم، كاد النّصّ كله يكون صوراً متلاحقة متعانقة، ولو شئنا عرض كل تلك الصور لكان علينا استعراض كل تعابير النّصّ، والشاعر بارع في اختيار اللفظ، فألفاظ النّص كلها منتقاة على قدر المعاني، وفي مكانها الصحيح من الصورة، فثمة دقة متناهية في اختيار صدق النبأ للسيف، والحدّ للفصل بين حالين متناقضين كلّ التناقض، والتخرص والتلفيق لأحاديث المنجمين تكاد كل التعابير والألفاظ تكون اصطلاحية، لا يصح مكانها غيرها، ولكن من أوقعها أثراً في النفس، قوله: (انصرفت عنك المُنَى حُفلاً، معسولة الحلب)، (صبح من اللهب)، (ضحى شحب)، إلخ... والألفاظ متنوعة بتنوع المعاني، فهي عقلية ساخرة في الأبيات السبعة الأولى، ملحمية في معظم النّصّ، تصويرية عند وصف المعركة، جزلية في المديح، هذا بالإضافة إلى مسحة الاعتزاز التي تسود كلّ الأبيات، كلّ ذلك أدى إلى بساطة تقرب من العفوية مع أن الشاعر معني بكلّ لفظ وكّل تعبير، والذي لا ريب فيه أنَّ صدق الشاعر أتاح له هذه الجزالة في المفردات، والتدفق في التعابير الغنية بالمعاني، ولا يخلو النّص من الإطناب وأسلوب الإيجاز، فبعض الجمل على قصرها شديدة الإيحاء تتخطى بمضمونها حدود الألفاظ، وذلك في مثل البيت الرابع عشر الذي لخَّص فيه أخلاق المعتصم وعزيمته وفعله الذي أدى إلى تحقيق النصر في المعركة، أمَّا غاية الإيجاز فنجدها في البيت الثاني والعشرين الذي يلخّص معاني الكفاح الدائم، والتضحيات الجمّة من أجل تحقيق الأهداف، والوصول إلى الراحة النفسية وبلوغ المطامح المرجوة.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا